

القيادة في الفكر العسكري الإسلامي

د. سعيد مطلق الزوبعي
المقدمة

كانت وحدة القيادة اول مرتكزات نظرية القيادة العسكرية في الاسلام التي حققت اوفر قدر من الانسجام الفكري اثمر التعاون الوثيق بين القادة والمؤوسين لتحقيق اهداف الجهاد في الاسلام. وكان الاقتناع والافتتاح يسيران جنباً الى جنب مع حق التكريم ولزوم الطاعة للقائد في كل المستويات. ومن خلال تحليل نمط القيادة في معارك صدر الاسلام والتي كانت تدار بقيادة مباشرة من لدن الرسول الكريم (ﷺ) او من قبل قادة يمارسون الادوار القيادية باشراف الرسول القائد (ﷺ) فقد كان نمطاً اقناعياً ولا يستبعد في حالات الضرورة او توخي الهدف بأقل الخسائر اللجوء الى النمط الاخر مع الالتزام بالضوابط المنظمة للرغبات.

وفي اطار اعداد القادة اسس الاسلام ارقى المناهج في البناء الجسدي والنفسي والعقلي والاجتماعي وبرز قادة لامعون أغنوا الفكر الاسلامي بتجاربهم القيادية الفذة التي كانت تتهل من المثل الاعلى في القيادة العسكرية للرسول الكريم (ﷺ).

أما في مجال الصفات القيادية المطلوب توافرها في القائد الناجح والتي هي حصيلة صفات ابرز الشخصيات القيادية وليس صفات قائد واحد. فقد اجتمعت في شخصية القائد المسلم الصفات المثالية للقيادة العسكرية الى جانب الخصائص المتميزة في اقتران القول بالعمل والتثام الجانب المفاهيمي مع الجانب السلوكي المعبر عنها. كما قدم الاسلام في امانة الاختيار وشروط الكفاءة التي تسعى الى اسعاد الانسانية كلها. أرقى نماذج تكامل الشخصية وهذه الخاصة كما يقررها الباحثون في علم النفس تمثل ارقى مستويات تكامل الشخصية القيادية.

ومن الله التوفيق

الحمد لله رب العالمين ناصر المؤمنين وملقي الرعب في قلوب الكافرين والصلاة والسلام

على عبده ورسوله القوي الصادق الامين

وبعد ... فأني راتب الباحثين في قضايا الفكر الاسلامي من ذوي الاختصاص في الفكر العسكري يركزون على المزايا الشخصية لقادة المسلمين في الميدان العسكري دون الخوض في المكونات الفكرية التي اسهمت في صياغة القادة اللامعين والجند المطيعين ، وفي المقابل كان الباحثون في الفقه الاسلامي لا يعطون لتلك المزايا ما تستحق من عناية من خلال تركيزهم على اثر التحولات الفكرية في الانجازات العسكرية التي تحققت في جهاد القلة المؤمنة احقاقاً للحق ونشراً للعدل والارض والسلام. ولأهمية تراكم الخبرة في ميدان القتال الذي يفرض معضلات كثيرة بوصفه عملاً غير محبوب للنفس البشرية. فقد ازدادت اهمية البحث في الكشف عن العوامل التي تفسر المنجزات العسكرية المعجزة التي تحققت في ظل دعوة القرآن ورسالة الاسلام. وفي هذا الاطار اخذ مفهوم القيادة وخصائصها الناجحة اهمية خاصة في جهود الباحثين العسكريين والمعنيين بالدراسات النفسية والاجتماعية. وعلى نهجهم سار الباحثون في العلوم الاسلامية مستمدون من القرآن الكريم النبع الصافي لعلوم الحياة كلها ما يعزز موكب الحضارة الانسانية في الحرب والسلام.

ووجدت من المناسب ان اعرض جانباً من ثمار العسكرية المؤمنة في جهاد العرب المسلمين في اطار تصور مفاده ان الجهاد في دلالته على صدق الايمان ، يمثل جوهر نظرية القيادة التي صاغها الرسول الاعظم عليه الصلاة والسلام بما أتاه الله من الحكمة والعدل وسعة الادراك والصفات القيادية التي قل نظيرها في قائد شهدته البشرية الى جانب ما خصه الله من خصائص النبوة والرسالة في قوله تعالى "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * اِنْ هُوَ اِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ" ففي هدي الوحي سار عليه الصلاة والسلام ليؤسس أرقى نظرية قيادية في الفكر العسكري كان من نتائج تطبيقاتها الميدانية ذلك الالتئام الرائع بين الجانب المتعلق بالمفاهيم وبين الجانب السلوكي المعبر عنها اصدق تعبير وما تحقق في هذا الاطار من انجازات عسكرية مذهلة. واستثمار امثل للطاقات البشرية مع مراعاة المواهب والامكانيات والقابليات التي يتميز بها الافراد في اداء المهام القيادية . وكانت الاستطاعة بوصفها مناط اداء التكاليف في الشريعة الاسلامية. تمثل جانباً مهماً من البعد الانساني في الحفاظ على ارواح الناس ومقاصد الشريعة الاسلامية في بقاء النوع الانساني الصالح للحياة. والقادر على تسخير القدرات المادية والمعنوية لخدمة اهداف شريعة الله تعالى. واعلاء كلمة الله بأقامة الحق ونشر العدل وتحقيق السلام الدائم.

وفي اطار هدف البحث في استخراج الروية الاسلامية للقيادة العسكرية دون الخوض في تطبيقاتها العملية جاءت هيكلية البحث في المحاور الاتية:

١- مفهوم القيادة العسكرية في الفكر الاسلامي.

٢- نمط القيادة العسكرية في الفكر الاسلامي.

٣- نظرية الاسلام في اعداد القادة.

٤- صفات القائد العسكري ومؤهلاته في الفكر الاسلامي.

اعتماداً على المصادر الموثوقة في السيرة النبوية والفقہ الاسلامي وفي المقدمة منها التصوير القرآني لوقائع قتال القلة المؤمنة والذي اسس نظرية التفوق النوعي القائمة على ان الكثرة ليست معياراً للنصر ولا القلة سبباً للهزيمة . و اضاف عناصر تفوق للقدرة القتالية بمؤهلات الايمان الصادق والطاعة الواعية . والاعداد الجهادي . والقيادة الناجحة موضوع هذا البحث.

ونسأل الله تعالى ان يكون من العلم النافع في هذا العصر الذي يشهد كل يوم استخداماً للقوة العسكرية مدمراً للحياة البشرية ونماذج من القادة العسكريين لا يردع نوازع الشر في نفوسهم الا تعاليم الاسلام وشريعته الصالحة للانسان والحياة.

المبحث الاول

مفهوم القيادة في الفكر الاسلامي

لم يرد في التعبير القرآني اطلاق لفظ القيادة وصفاً للنبي صلى الله عليه وسلم. ولم يطلق النبي صلى الله عليه وسلم لفظ ((القائد)) على من عينهم لتولي أمر السرايا والبعوث التي كان يوجهها . او على من استخلفهم على المدينة في خروجه للجهاد في سبيل الله. فقد جاء في المغازي والسير ((وأمر فلاناً على سرية كذا ، وبعث بعثة فلان الى كذا ، واستخلف فلاناً على المدينة))^(١).

وفرق الفقهاء وكتاب السيرة النبوية بين الغزوات والسرايا" بأن الغزوة ما كان يقودها النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه ، والسرايا من يعين النبي صلى الله عليه وسلم اميرها ويعقد له الراية"^(٢).

كما لم يرد اطلاق "القيادة" بمعناها اللغوي في السلطة والسيادة وتدبير شؤون الناس على الخلافة والولاية العامة في الفقه الاسلامي.

وانما اطلقت على ولاية الجند قال الكاساني "حق الجند في حسن اختيار القائد الذي يعين عليهم من حيث المؤهلات التي يتمتع بها وأثرها في رعاية حقوقهم ، أن يكون عالماً بالحلال والحرام ، عدلاً ، عارفاً بوجوه السياسات ، بصيراً بتدابير الحرب واسبابها ، وان يتقي الله في خاصته نفسه ، وبمن معه من المؤمنين خيراً"^(٣).

فالسيادة في المجتمع الاسلامي لله وحده في والسلطة والحكم والملك. لذلك كان وصف العبودية ابلغ وصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم المبلغ لرسالة الله تعالى . والموجة لبشرية باتباع اوامر الله تعالى . فكان نبياً ورسولاً للعالمين على خلق عظيم. والقائد في الفكر الاسلامي . وفي مستويات القيادة كلها هو خليفة الله تعالى او هو وكيل العباد على نفوسهم بمنزلة احد الشريكين مع الآخر في تأدية الامانة"^(٤).

(١) المغازي الواقدي ، ١٧/١ ، ٢٧٧/٣ - السيرة النبوية ابن هشام / ٢٣٣/٣ .

(٢) فقه الغزوات ، محمود خلف جراد / رسالة دكتوراه / كلية العلوم الاسلامية - بغداد ١٩٩٥ .

(٣) بدائع الصائغ ، الكاساني ، ٩٩/٧ .

(٤) السياسة الشرعية / ابن تيمية / ١٤ .

وبذلك تأخذ القيادة العسكرية ادوارها من النصوص الشرعية وتتحدد صلاحيتها بضوابط الشريعة الاسلامية. ومن يدقق في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ونتائجها العسكرية يجد دلالاتها على حقيقة النبوة وصدق الرسالة واضحة في كل غزوة . وان كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخذ في كل امر خطير التدابير العسكرية المحكمة لتحقيق النصر. والقيادة بوصفها امانة تقتضي اجتماع القوة والامانة. وتتحققان في كل دور قيادي بحسب المؤهلات المؤدية اليهما. فكان اطلاق القيادة وصفاً في الميدان العسكري لما له من اهمية كبيرة في الحفاظ على مقصد حماية الانفس وصيانة الامن والسلام واقترن مفهوم القيادة في الفكر الاسلامي بابعاده الوظيفية والانسانية فنجد الابعاد الوظيفية للقيادة في فكر المسؤولية : إذ أن كل مكلف "فرد مسلم بالغ عاقل" متساوي مع غيره في التكليف والالتزام ومن مقتضيات الالتزام قدرة المكلف على اداء المسؤولية^(٥).

فقد خدّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تولي المسؤوليات العامة لمن لم يكن اهلاً لاداء الالتزام كما جاء في صحيح البخاري . أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "اذا ضيقت الامانة فانظر الساعة. قيل : وما اضاعها يا رسول الله ؟ قال اذا وسد الامر الى غير اهله"

وفي تصرفات النبي صلى الله عليه وسلم في تولي الوظائف تأكيد على اقتران الوظيفة بمفهوم الامانة مما يجعل القيادة منضبطة بتعاليم واضحة تمنع انسياق القائد نحو رغباته الشخصية. وتحدد نطاق وظيفته بالاطر التي ترسمها النصوص الشرعية. فالوظيفة وان كانت حقاً للأفراد الا أن علاقة الموظف بالدولة هي علاقة إلتزام وتكليف بوصفه يؤدي واجبا دينيا بأفضل مستويات الاداء الوظيفي في الامانة والاخلاص^(٦).

ولضمان البعد الوظيفي في اطار فكرة المسؤولية يرى اغلب الفقهاء وجوب الاختيار لكل عمل ما يناسبه من القوة والامانة^(٧).

ولاشك في ان مراعاة الكفاءة الفنية والادارية لهما اهمية خطيرة في مؤدي الالتزام. اذ ان القائد في الجيش لا يؤدي وظيفة قتالية فحسب بل يؤدي وظائف ادارية وقانونية وتربوية وفنية تجعل الافراد يتقون بقدراته بوصفه قدوتهم في الجوانب الدينية والدينية؟ كما تبين ارتباط مفهوم القيادة في الفكر الاسلامي بالابعاد الانسانية من خلال تقرير حقيقة الوحدة الانسانية في النشأة والتكوين والتي تضع امام القائد المسلم مسؤولية المحافظة على النفس الانسانية ليقوم الانسان الصالح للحياة بوظيفة الاستخلاف. ولو تتبعنا آثار الحرب في الفقه الاسلامي لوجدنا البعد الانساني ماثلاً في كل قتال مشروع لتحقيق مقصد حفظ النفس بوصفه احد المقاصد الكلية في الشريعة الاسلامية^(٨).

(٥) صحيح البخاري / باب العلم.

(٦) المسؤولية في الاسلام / محمد عبدالله دراز / ٣٧.

(٧) السياسة الشرعية / ابن تيمية / ٢٢.

(٨) آثار الحرب في الفقه الاسلامي / وهبه الزحلي / ١٨٨ وانظر مقاصد الشريعة / محمد الطاهر بن عاشور / ٢٣.

جاء في المغنى لأبن قدامه "وينبغي للامير ان يرفق بجيشه ويسير بهم سير أصعقهم لئلا يشق عليهم ، وأن يكثر المشاورة لذوي الرأي من اصحابه ، ويتخير المنازل لأصحابه"^(٩)

ونكر الامام الشافعي : ما لا يجوز للقيادة القيام به من الامور المخلة بالتعاون الانساني: فليس للقيادة ان تقدم على ما فيه استخفاف بحقوق المقاتلين وليس للقائد ان يحبس الجيش في ارض العدو ، وغير ذلك من اسباب المهالك^(١٠).

وفي وصايا القادة الى امراء الجند نماذج رائعة في اقتران مفهوم القيادة بالابعاد الانسانية . ومن هذه الوصايا ما جاء في كنز العمال عن الخليفة عمر بن الخطاب انه قال "والذي نفسي بيده ما يسرني أن تفتحوا مدينة فيها اربعة آلاف مقاتل بتضييع رجل مسلم"^(١١)

وكان الخليفة عمر بن عبدالعزيز يتابع ادق التفاصيل المتصلة بالبعد الانساني في تعامل القادة مع الجند. فكان يوصي عامله في الغزو ان لا يركب دابة الا دابة تضبط سيرها اضعف دابة في الجيش^(١٢)

وعندما استقرت هذه المفاهيم في اذهان القادة المسلمين وحملوها في عقولهم وتمثلت في سلوكهم . وصاغوا اول خطوات العدل في ان يؤدي الانسان ما عليه من حقوق ، ومنها عدل القادة في سلطتهم على الرعية واستحقوا الطاعة ، والمحبة ، والمودة . قال الامام النووي "اجمع العلماء على جوب الطاعة في غير معصية ، وعلى تحريمها في المعصية ، نقل الاجماع على هذا القاضي عياض وآخرون ... وقال العلماء المراد بأولى الامر من اوجب الله طاعته من الولاة والامراء هذا قول جماهير السلف والخلف في المفسرين والفقهاء^(١٣) .

وهكذا يرتقي الاداء الوظيفي في ادوار القيادة بوصفها امانة في ادق تعبير وليست درساً عسكرياً في معاني الاخلاق الحميدة والصفات النبيلة التي كانت موضع اهتمام القادة في تاريخ الفكر العسكري.

ولامانة القيادة في الاعمال التي يتوقف عليها مصير الشعوب والامم شأ، خطير . فكان الوصف بخلافها يخرج الانسان المسلم عن دائرة المجتمع الايماني القويم لأن في غش المسلمين فليس منهم وهو امر شامل لشؤون المعاملات وكل ما يتحقق مصلحة المسلمين . ولأن ادارة الافراد في مفهوم القيادة لا تأخذ عمقها الروحي ما لم تصل الى ايجاد توازن داخلي. يحرر الانسان المجاهد في سبيل الله من الضغوط الظاهرة والباطنة...

^(٩) المغنى / ابن قدامه / ١٠ / ٣٩٢ .

^(١٠) آلام / الامام الشافعي ٤ / ١٦٥ وما بعدها .

^(١١) كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ٥ / ٢٩٦ رقم الحديث ١٤٣٢٧ .

^(١٢) مصنف ابي شيبة ١٢ / ٢٣٢ رقم الحديث ١٢٩٨٠ .

^(١٣) صحيح مسلم / شرح الامام النووي ٨ / ٣٠ .

وهذا التوازن يحصل في المفهوم الاسلامي بتحقيق التناصر بين الانسان وهو مشروط بالتزام القائد المسلم تعاليم الاسلام التي بها يستحق الطاعة في حدودها الشرعية. ويكون قادراً باشعاعه الفكري وسلوكه الميداني على جعل المقاتلين يقتحمون الاخطار ويواجهون الصعوبات التي تفرضها بيئة القتال بارادة قوية وقناعة فكرية وطاعة واعية وصبر جميل وكفيل بانتزاع النصر في اكثر المواقف القتالية خطورة واشدها تعقيداً. وهو ما تحقق فعلاً في تطبيقات مفهوم القيادة بابعاده الوظيفية والانسانية التي اثبت صدق الجانب المفاهيمي وصواب تطبيقاته الميدانية.

المبحث الثاني

نمط القيادة العسكرية في الفكر الاسلامي

القيادة بوصفها فن التأثير على مجموعة من الناس وجعلهم يسيرون على خط اختير من قبل القائد نفسه تقتضي وجود عناصر تلعب دوراً مهماً في قابلية التأثير على التابعين واستعدادهم لانجازهم المهام المطلوبة ، وللقيادة العسكرية نمطان هما : القيادة الارغامية التي يعتمد فيها القائد العسكري على سلطة مركزه وقوته في ارغام رؤوسيه على طاعته حتى وان لم يكونوا مقتنعين ذاتياً ولكنهم يرغمون انفسهم على الطاعة طمعا في المكافأة او خوفاً من العقاب.

والقيادة الاقناعية تعتمد الى حد كبير على قدرة القائد ومهارته في جعل المرؤوسين يطيعون اوامرهم عن رغبة واقتناع ومن مميزات توليد الشعور والارتياح والرضا عند المرؤوسين لأن القائد في هذا النمط يضع في حسابه العامل البشري ويدرك الفروق الفردية في القدرات والامكانيات البدنية والعقلية.

وإذا كان نمط القيادة الاقناعية هو الاكثر انسجاماً مع انسانية الانسان فإن بيئة القتال غير المحببة للنفس البشرية كما يصفها القرآن الكريم في قوله تعالى "كتب عليكم القتال وهو كره لكم" تتطلب الجمع بين النمطين في القيادة العسكرية الناجحة الي تتأسس على نمط القيادة الاقناعية ولا تستبعد نمط القيادة الارغامية واستخدامها في الضرورة.

فيقرر الاسلام قيام الصلة بين القائد ومرؤوسيه على اسس الرحمة والمودة والكرامة الانسانية في قوله تعالى "فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فطاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمتم فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين" ^(١٤). فكانت الرحمة لحكمة علمها الله في سياسة الامة ذات ارتباط بخلق الرسول عليه الصلاة والسلام المفطور على الرحمة حتى يلائم خلقه الكريم الوسائل المتوسل بها وكان اللين مع رحمة الله لنا لا تقربط معه لشيء من مصالحهم ولا مجارة لهم في التساهل.

(١٤) سورة آل عمران / الآية ١٥٩.

قال البيضاوي رحمه الله "في تفسير الآية" عاملهم معاملة العفو والصفح فيما يختص بك واطلب المغفرة لهم وشاورهم في امر الحرب وكل كل ما تصح به المشاورة لتطبيب نفوسهم ولتمهيد سنة المشاورة لامتك^(١٥).

وقال ابن عاشور "وقد دلت الآية على ان الشورى مأمور بها الرسول (ﷺ) وهو مهمات الامة ومصالحها في الحرب وغيره وذلك في غير امر التشريع^(١٦).

ومع اهمية الشورى العسكرية في تكوين القناعات العقلية المحفزة على الطاعة فأن حق الطاعة تقرره النصوص الشرعية وترتب على الاخلال به عقوبات شديدة قانونية ونفسية وبذلك تتسع مديات تأثير القائد على المرؤوسين فتشمل العناصر المكونة لشخصية القائد في القوة والشجاعة والحزم وفي العدل والامانة والتقوى . والعناصر المكونة لشخصية المرؤوسين في منظومة البناء الفكري والنفسي للمقاتلين واقتزان طاعة القائد المسلم بطاعة الله ورسوله قال تعالى "واطيعوا الله ورسوله وأولي الامر منكم".

وبذلك يتفرد نمط القيادة العسكرية في الاسلام بالخصائص الاتية :
أ-التفوق في البناء الفكري للمرؤوسين على ضرورة وجود قائد للجماعة وحقه في التكريم والطاعة.

ب-قوة النظام المنظم لرغبات القائد والمرؤوسين باتجاه تحقيق الهدف الذي يسعى القائد المسلم الى تحقيقه حيث ان تعاليم الاسلام الضابطة للرغبات والاهواء تحقق او فر قدر من المحبة والرقابة على السلوك.

قال تعالى "فأولى لهم طاعة وقول معروف فإذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم"^(١٧).

وكان الخير يظهر دائماً في اعقاب الطاقة للقائد المسلم وفي الموقف الذي يبدو ولأول وهلة انه غير مناسب لرغبات المرؤوسين كما حصل في صلح الحديبية.

ج-التفوق في الدوافع القوية للطاعة بمقتضيات رابطة الاخوة في الايمان التي تشكل اقوى الدوافع لصياغة الشخصية المنضبطة المضحية في سبيل الله.

المبحث الثالث

نظرية الإسلام في إعداد القادة

يقر القرآن الكريم اهداف تربية الانسان بالاكمل لاقامة المجتمع الافضل بروية شمولية تعالج كافة مظاهر الضعف في كيان الانسان وتحدد طريقه الذي يجب ان يلتزمه في ممارسة دوره القيادي في الحياة وهذا الالتزام هو طاعة تتحقق في اشكال العبادات كلها. وتحقق اكبر قوة جسدية واضخم طاقة علمية.

قال تعالى "الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله إلا بذكر الله تطمئن القلوب"^(١٨). وبهذه الطمأنينة التي يعمقها لإيمان صلاح للجسم السليم والقلب الرحيم والعقل الحكيم وهكذا

(١٥) تفسير البيضاوي ٢ / ٥٠ .

(١٦) التحرير والتنوير ٤ / ١٤٧ .

(١٧) سورة ، الآية / ٥٠ .

تاخذ التربية ابعادها العقلية والنفسية والاجتماعية في اعداد الانسان المسلم جسديا وعقليا و نفسيا واجتماعيا وفي اطار هذه النظرة الشمولية انبثقت نظرية الاسلام في اعداد القادة وحددت منطلقاتها بالاسس الاتية:

أ- أن يكتسب صفات المقاتل في الشجاعة وقوة التحمل والحزم والنخوة والانضباط وتقدير الواجب والايمان بالحق والقتال عن عقيدة والتزام تعاليم الاسلام في القتال قال تعالى "محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم" (١٩).

ب- التحلي بالصفات القيادية في كمال الخلق والعقل وحسن السياسة واحترام النفس والتواضع والثبات على المبدأ والتوازن النفسي وتحمل المسؤولية.

قال تعالى "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً" ، فاذا كانت الصفات المثالية للقائد جاءت نتيجة لدراسة شخصيات ابرز القادة في التاريخ ولا يمكن ان تجتمع كلها في شخص واحد فان الصفات كلها قد اجتمعت في رسول الله (ﷺ) المنهل الكامل والقدرة المثلى (٢٠).

ج- المشاركة في التخطيط للمعارك بالتفكير والمناقشة وابداء الرأي لاكتساب القدرة على اصدار القرارات السليمة وهي من اهم خصائص القيادة الناجحة. وقد طبق الرسول عليه الصلاة والسلام مبدأ اعداد القادة بالمشاركة في ابداء الرأي وترك للامة تقرير الاسلوب الامثل في التطبيق (٢١).

د- تحولي القيادة الفعلية تحت اشراف القائد المعلم فقد عهد الرسول عليه الصلاة والسلام الى بعض الصحابة الكرام بالقيادة في اشكال متعددة من اعمال القتال مثل السرايا التي بعثها وحدد أمرائها وواجباتها فكانت سرية عبيدة بن الحارث مؤلفة من (٦٠) رجلاً من المهاجرين قال ابن اسحاق "فلم يكن بينهم قتال الا ان سعد بن ابي وقاص رمى يومئذ بسهم فكان اول سهم رمي به في الاسلام" (٢٢).

ومن صور اعداد القادة تحت قيادة الرسول الاعظم (ﷺ) قيادة الوحدات التي يتألف منها جيش المسلمين ففي غزوة بدر كان الجيش الاسلامي يتألف من كتيبتين كتيبة المهاجرين بقيادة علي بن ابي طالب (U) وكتيبة الانصار بقيادة سعد بن معاذ (t). وفي فتح مكة كان الجيش يتألف من اربعة ارتال يقودها اربعة من القادة هم الزبير بن العوام ، وخالد بن الوليد ، وسعد بن ابي عباد ، وابو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنهم).

كما قدم الرسول الاعظم (ﷺ) الدروس العلمية في مجال اعداد قادة المستقبل في تعيين مركز القائد الثاني والثالث في المعركة كما حصل في غزوة مؤتة . وهي قيادة كاملة للمعارك الحربية الكبيرة في ارقى صور اعداد القادة التي تتيح الفرصة لدراسة اساليب

(١٨) سورة الرعد ، الآية / ٢٨ .

(١٩) سورة الحجرات ، الآية / ٢٩ .

(٢٠) سورة الاحزاب ، الآية / ٢١ .

(٢١) السيرة النبوية / ابن هشام / ٢ / ٢٤١ .

(٢٢) السيرة النبوية / ابن هشام / ٢ / ٢٤١ .

العدو عن طريق الاحتكاك المباشر وتمكن القائد من التخطيط السليم لجميع العمليات الحربية المقبلة.

ففي تحليل اختبار زيد بن حارثة قائدا لجيش المسلمين الذي كان يتألف من ثلاثة آلاف مقاتل في غزوة مؤتة يقول اللواء محمد جمال الدين محفوظ ((وعلى الرغم من انها كانت تتطوي على الكثير من الظروف الصعبة من وجهة نظر فن الحرب لما تتطلبه من مسيرة اقتراب طويل)). ولكونها تدور بعيدا عن مركز القيادة العليا مما يضع القائد وحده في مواجهة مواقف المعركة ويحمله المسؤولية الكاملة عن ادارتها ونتائجها . وهي مواجهة تحدث لأول مرة بين جيش المسلمين وبين جيش الروم البيزنطيين . فقدم الرسول عليه الصلاة والسلام في اختيار زيد لهذه المهمة الصعبة والحاسمة دليلا واقعا على عظمة النظرية الاسلامية في اعداد القادة.

هـ-وجود العناصر المكونة للشخصية القيادية حيث يوزع الاسلام الادوار القيادية في كل المجالات فكل فرد هو راع ومسؤول عن رعيته في محيط الاسرة والمجتمع. وقد وزعت الحقوق والواجبات في الاسرة على اساس العدل وبموجب هذا التوزيع نصب الرجل قائدا للاسرة وقواما عليها. كما الزمت تعاليم الاسلام اصغر مجموعة في السفر بأن يؤمروا واحدا عليهم يكون قائدا لهم.

وكان تقدير المسؤولية والاخلاص في العمل مقرونا بالايمان في التربية السلوكية حيث تبدأ عملية البناء منذ الطفولة وتتغلغل في مراحل التربية والتنشئة الاجتماعية وبذلك تتم الاتجاهات النفسية الصحيحة لدى الافراد ويصبح اقبال الانسان المسلم على الوفاء بتكاليف الاسلام والجهاد في سبيل الله حافزا مهما جعل من جيش الاسلام قادة لامعين ومثالا للجنود الممتازين القدوة في الاشعاع بالشجاعة والتضحية والفداء والاخلاق الفاضلة وقد استطاع الرسول عليه الصلاة والسلام ان يشيع بين اتباعه الصفات المثالية للجنود الممتازين والقادة اللامعين وان يجعل من كل فرد قائدا وتابعا في آن واحد.

المبحث الرابع

صفات القائد العسكري في الفكر الإسلامي

من خلال دراسة وتحليل حياة القادة العسكريين وضعت صفات معينة يلزم توافرها في القائد العسكري لكي يتمكن من اداء دوره بكفاءة كما وضعت معايير لاختيار القادة وهي تدور في شرطين اساسيين هما:
أ-كفاءته من حيث توفر صفات القيادة فيه وتوفر قدرته على التأثير في مرؤوسيه.
ب-تمتعته بحب مرؤوسيه له :

ويرى علماء النفس ان اهم صفات القيادة هي ((المعرفة ، الحسم ، الابداع الذاتي ، اللياقة ، السلوك والتأثير ، الشجاعة ، الثقة والاستقامة ، العدالة ، الحماسة))^(٢٣).

ومن جهة اخرى تورد بعض المراجع العلمية تفصيلا لصفات القيادة ((كحسن المظهر ، والنزاهة ، الولاء ، المشاركة الوجدانية ، اجادة التعبير والخطابة))^(٢٤). ومن

(٢٣) القيادة وعلم النفس / الاكاديمية العسكرية / بغداد / ١٤٤ .

خلال تعريف القيادة في علم النفس العسكري ((بأنها فن التأثير على الرجال وتوجيههم نحو هدف معين بطريقة تضمن بها طاعتهم وثقتهم واحترامهم وولاءهم وتعاونهم))^(٢٥). يتضح نوع الطاعة بانها المقترنة بالثقة والاحترام والولاء والتعاون.

وعند مقارنة هذه الشروط والمواصفات مع جاء في تعاليم الاسلام من تحديد لامانة الاختيار في استقامة الضمير ونقاء النفس وشجاعة الرأي وخصوص القلب من الجبن والرياء والنفاق والتجرد من كل هوى وعدم المحاباة.

نجد ان صفات القيادة في الاسلام تحقق انسجاما فكريا وتعاوننا وثيقا بين القائد والمرووسين وتغرس الضبط والنظام في القلوب والنفوس. لانها تستمد مركز قوتها وثباتها من عقيدة التوحيد التي تمنح الانسان المسلم طاقات مادية ومعنوية لا تتضب . كما ان هذه الصفات قد تعمقت جذورها في شمائل المثل الاعلى للانسانية كلها قال تعالى : ((وانك لعلی خلق عظیم))^(٢٦).

وكان عليه الصلاة والسلام خبيرا بمزايا اصحابه الكرام فيختار الرجل المناسب للمكان المناسب ويرعى الموهوبين منهم ويظهر مواهبهم في القيادة الحربية ويختار لقيادة الجند صاحب الطبع الموهوب والعلم المكتسب والخبرة العلمية فكان النصر حليفا لهم في ممارسة الادوار القيادية في حياته المباركة عليه الصلاة والسلام واستمر النصر معقودا بألويتهم في الفتح الاسلامي.

ويؤكد اللواء الركن محمود شيت خطاب في وصف جيش الرسول (ﷺ) على دعائم ثلاث هي: العقيدة الراسخة التي جعلت ضمير الفرد رقبيا عتيدا عليه . والقوة الحسنة . الذي لا يأمر بشيء الا طبقه على نفسه اقوى ما يكون التطبيق ولا ينهي عن شيء الا ابتعد عنه اشد ما يكون البعد.

أما الدعامة الثالثة فهي اختيار الرجل المناسب في المكان المناسب^(٢٧) ، ومن مقتضيات امانة الاختبار ان يتوافر في القائد الكفاءة والحب . ولذلك يعد الاسلام الانحراف عن شرط الكفاءة غشا لله ولرسوله ولجماعة المسلمين وخيانة للامانة.

قال تعالى : ((يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وانتم تعلمون))^(٢٨).

أما المحبة المتبادلة بين القائد ومرووسيه فقد كانت اعظم انجاز بلغ حد التآلف بين القلوب بعناية الهية كما وصفها القرآن الكريم قال تعالى: ((واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا))^(٢٩).

^(٢٤) المدخل الى الاستراتيجية والعقيدة العسكرية / ٢٧٩.

^(٢٥) المصدر نفسه .

^(٢٦) سورة القلم ، الآية / ٤ .

^(٢٧) جيش الرسول (ﷺ) / اللواء الركن محمود شيت خطاب / ١٨ .

^(٢٨) سورة الانفال / الآية / ٣٧ .

^(٢٩) سورة آل عمران / الآية / ١٠٣ .

فظهرت محبة الرسول عليه الصلاة والسلام لاصحابه ومحبة اصحابه له في كل غزواته بل في كل موقف في السلم والحرب واذا كانت درجة تكامل الشخصية تتناسب مع اتساع دائرة المجتمع الذي يرمي الفرد الى اسعاده وهو ما تقرره احدث الدراسات النفسية. فإن القائد العسكري المسلم يسعى الى سعاد البشرية كلها مقتديا في هذا السعي بسيرة الرسول القائد (ﷺ) في محبته للناس جميعا ورغبته في هدايتهم وخيرهم وصلاحهم كما ان النصر الذي يسعى القائد المسلم الى تحقيقه بحمل اسمى صور المحبة بوصفه نصر هداية للبشرية.

وفي ظل تعاليم الاسلام ودعوة القرآن الكريم النبع الصافي لعلوم الحياة كلها تأسست ارقى نظرية في القيادة العسكرية شهدتها البشرية في تاريخ الحروب.